محمد أركون الداعي الجَلْدُ إلى نفي مقولة الحق، بما يدعوه بالعقل المنبثق أو بالانفتاح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل الأنبياء والمرسلين وبعد،

فإن الصراع بين الحق والشر ما يزال موجوداً، والدعاة لكل فريق موجودون، وما زلنا نرى في كل وقت من يعيد التنظير إلى نوع من السفسطة في الأديان والعقائد، نوع من الناس لا يرون في أي مذهب أيَّ مقدار من الحق، ولكنهم ما يزالون يتوسلون بأساليب جديدة لخداع الناس عن رؤيتهم هذه فيستعيرون لها من الألفاظ والتسميات ما ربما يصنع نوعا من الستار عن حقيقة ما يريدون ونهاية ما يسعون إليه.

ومن هؤلاء، محمد أركون الذي يزعم أنه يريد أن يساعد المسلمين على الانفتاح، والانفتاح بحقيقة مفهومه هو التخلص من مقولة أن الدين الحق هو الإسلام، بل يجب أن يعتقدوا أن الدين الإسلامي ما هو إلا خيار بشري، كما اختار غيرهم من البشر أديانا أخرى، إما وضعية أو سماوية، وربما لا يعترف هو بأنها أيضا سماوية إلا بالنظر إلى اعتقاد المعتقد بأنها كذلك.

إن محمد أركون يسعى إلى تثبيت ما يسميه بالعقل المنبثق، وخلاصة هذا العقل هو أنه لا يختار أمرا ما ويسميه حقا، بل إنه يبقي نفسه منفتحا على الآراء بشرط عدم اختيار واحد منها ولا اعتقاد أن أيا منها هو الحث، فمقولة الحق والباطل منتفية عند صاحب العقل المنبثق.

لما شاهدته على شاشة العربية في هذه الليلة اندهشت من الصراحة التي صار يتحدث بها، ومن الوقاحة التي يدعو بها إلى أفكارهمن وتحسرت على من يحاوره عندما كان يحاول أن يبذل جهده في تفسير بعض أفكاره بما لديه من مفاهيم فعجز في مواضع عديدة عن إدراك ما يريد محمد أركون الوصول إليه.

إن محمد أركون لا يخجل عندما يقول إن الإسلام ما هو إلا نتيجة مرحلة تاريخية بكل ما اشتملت عليه من ظروف اجتماعية وسياسية وفكرية وغيرها...الخ ولذلك فإنه يدعو إلى ما يسميه بالإسلام الجديد الذي يجب أن يكون مستمداً من واقع هذا العصر، ولذلك هو يدعو غلى ما يسميه بالفكر الإنساني، لأنه لا يعتقد بمعارف أنزلت من لدن عليم خبير. وإذا كان الفكر إنسانيا، فلا فضل لواحد على الآخر.

إن محمد أركون ما يزال يحاول بكل جدية أن يخترق النظم المعرفية التي يتبناها المسلمون على اختلاف أطيافهم، وعندما نقول (محمد أركون) فإنا لا نعني مجرد شخصه ، بل نقصد أيضا جميع ما يردفع من مؤسسات وتوجهات علمانية غربية وأمريكية وغيرها.... إن الاتجاه

الذي يدعو إليه أركون اتجاه يراد له أن يكون السائد إلى الأبد....
ولذلك فإنه عندما يضرب المذهب السني بالشيعي أو أو المعتزلي، فإنه لا يريد أن يقول للناس إنني أفضل مذهبا على مذهب، بل غاية مايريده هو تطبيق مقولة السفسطائيين القدامى التي نقلها لنا السعد في شرحه على النسفية عندما نفوا الحق ونفوا أن يكون أمر من الأمور ثابتا على الحقية، فقالوا: اختلاف الناس في المسألة الواحدة يستلزم انعدام الحق بينهم ، فهم يستدلوا بالاختلاف على رفع الحق مطلقا من بين المختلفين، وهذا نوع من السفسطة.
وكثيرا ما كنت أقول إن الفلسفة الغربية ما هي إلا نوع متقدم أو مظهر متقدم من الفلسفة السوفسطائية، وكل ما نراه من أفكارهم يثبت ما نقوله.
لقد أضحكني أركون عندا صرح بكل جرأة إنه إنما يريد مساعدة العقل المسلم؟! ولكنه صادق فيما يقول: إنه يريد أن يساعد العقل المسلم على التخلي بقناعة عن الخيار الإسلامي.... إنه يقول بكل وضوح إنه يدعو إلى الانفتاح على الخيارات كلها بما فيها الأديان الوضعية، وهذا يعني بكل بساطة اعتبارها على مرتبة واحدة من الحقية....!

لقد قلت في نفسي عندما سمعته لا بدَّ أن أذكر بعض الأفكار التي أكتبها حاليا في بيان تهافت الفكر العلماني المعاصر، وقبل ذلك في الكشف عن حقيقته لأن العديد من الناس ما سزالون يجهلون حقيقته وعلامَ يعتمد، أي ما هي مقولاته...
إنا لا بدَّ أن نطبق عملية كشف وتحليل للعملية الفكرية التي يسبكها هؤلاء العلمانيون المخالفون لأصل الأديان، لا بدَّ أن عري منظومتهم المعرفية، وما يتحذلقون بتسميته بالإبيستمولجيا الخاصة بهم...
فيكفي أن يطبقوا هذا المنهج التفكيكي على غيرهم، يكفي أن يظهروا أنفسهم للناس أنهم مجرد باحثين يستاءلون مجرد تساؤلات، وينسون أن التساؤل نفسه إذا انبعث من فلسفة اطر معرفية خاصة، فإنه يكون عقيدة خاصة.... إن الإنسان إذا اعتقد أن التساؤل والتشكك فيما أمامه هو الهدف والغاية، فإن الشكَّ يصبح مذهبا له... فيكون قد وقع في الأمر نفسه الذي يعزوه إلى ما يسميهم الدوغمائيين!!!
هذا بعض ما أردت أن أكتبه على عجل هنا، وإن كنت أنوي أن أنشر الكثير مما كتبته في مجال نقد هذا الاتجاه في وقته ندعو الله تعالى أن ييسره لنا قريبا، فإنني شارع بنقد العديد من الكتب التي توضح أسسهم، وأعمل على نقد مفهوماتهم وتعريتها بمنهج كلامي لا ربما يعلو على أذهانهم وعقولهم.....
وأدعو الله أن أكون قد لفتُّ الأنظار إلى بعض خطرهم في هذه

العجالة.
والله الموفق.

هذا جزء من مقال يبين فيه الكاتب بعض الأفكار التي ينادي بها بعض العلمانيين في هذا العصر، وهم يدورون مع محمد أركون معصابته على المفاهيم نفسها التي يدعون إليها، ويبين صاحب المقال بعض الإشكالات التي يمكن أن تنشأ من وراء ذلك...
اسم كاتب المقال: أحمد إدريس الطعان-جامعة دمشق
http://www.procover.com.sa/index.cfm...contentid=7324
"أما مراد وهبة فالعلمانية بنظره هي الحل لمشكلة الشرق الأوسط في فلسطين ذلك أنه يعرف العلمانية بأنها "النظر إلى النسبي بما هو نسبي وليس بما هو مطلق"، ويعني بذلك سيادة النسبية على كافة المستويات، وإقصاء المطلقات من الوجود، لأنه لا وجود لحقيقة مطلقة، والقول بها مجرد خرافة، وسيادة المطلق يهدد السلام العالمي، لأنها ستدخل في صراع كما هو الحال بين المطلقات الثلاثة الإسلامي اليهودي والمسيحي، وليس من وسيلة لحل هذا الصراع إلا بالقضاء على المطلقات، ويتم ذلك بنفي "الدوجماطيقية"، أي نفي علم العقيدة، لأن مفهوم الحرب كامن في هذا العلم. لأن هذا العلم قائم على اليقين "واليقين لا يمكن أن يكون إلا مغلقاً، ولهذا فهو يؤول في المنتهى إلى الدوغمائية التي تُترجَم تعصباً وتحزباً وربما عنفاً وإرهاباً"، ومع أن هذا الكلام لا يرضي الناطقين باسم الغائب والمدافعين عن العقائد وحراس النصوص كما يقول الخطاب العلماني، إلا أنه يقرر ذلك ليؤكد على أن الصراع العربي الإسرائيلي في النهاية هو صراع مطلقات، والحل الوحيد في العلمانية لأنها المضاد الحيوي للأصوليات الدينية التي تغذي المطلقات وتتغذى منها، وعلى ذلك بدلاً من شعار "الإسلام هو الحل" تصبح "العلمانية هي الحل".
ولكن تجاهل مراد وهبة هنا أن العلمانية تصالحت مع الصهيونية واليهودية وبررت لهم وجودهم في فلسطين، وشرّعت لاستمرارهم فيها على حساب العرب والمسلمين الذين لم يربحوا شيئاً، ولم يحصلوا على شيء من علمانية مراد وهبة، إلا إذا كان مراد وهبة وأمثاله سيجيبون بأن الربح العربي يتمثل في النجاة من القنابل النووية الإسرائيلية، وهذا ما لا يحسب الأصوليون المسلمون حسابه، لأن الخوف من الموت لا يردعهم عن المطالبة بحقوقهم ولديهم من الآليات والوسائل "الإرهابية" ما يجعل إسرائيل تفقد صوابها.
بقي أن نتساءل: ألم تتحول علمانية مراد وهبة إلى مطلق هي أيضاً

ينفي المطلقات الأخرى؟ فإذا قرر هو وشيعته أن "العلمانية هي الحل"، وقرر المسلمون بشكل مطلق أن "الإسلام هو الحل"، وقررت إسرائيل أن "التلمود هو الحل"، أفلا تدخل العلمانية هنا طرفاً جديداً فيما يسميه "صراع المطلقات"، وبالتالي فإن أية رؤية تُطرح على أنها الحل هي بنظر أصحابها مطلق على الآخرين أن يرضخوا لها، وهكذا فإنه لا خلاص من المطلق، ولا بد من مطلق واحد تذعن له كل الأطراف المعارضة.
ونتساءل مرة أخرى: هل حربنا مع إسرائيل هي حرب مطلقات؟ في الواقع لا، لأننا نحن لا نحارب إسرائيل لندخلها في مطلقنا الإسلامي، وإسرائيل لا تحاربنا لتدخلنا في مطلقها اليهودي، نحن نريد أن نستعيد أراضينا المغتصبة –في إطار وعود ومؤامرات دبرت– على مرأى ومسمع من كل العالم، ونريد أن يعود الشعب المشرد الطريد في كل بقاع العالم إلى أرضه ودياره، ويريد الشعب المضطهد المقموع أن يتخلص من الاضطهاد والقمع، ويتمتع بحريته وكرامته واستقلاله، فأين المطلقات في هذا الصراع؟ وإذا كانت حربنا مع إسرائيل حرب مطلقات، فإن هذا يعني أنه لا يوجد خلاف بين شخصين في محكمة إلا ويمكن تسميته أيضاً "صراع مطلقات"، وأن الإنسان الذي يأتي ليغتصب منزل مراد وهبة أو يعتدي على أسرته أو حتى على حياته، على مراد وهبة ألا يدافع عن نفسه -طبقاً لعلمانيته أو لنسبيته- حتى لا يدخل في صراع المطلقات. "
فمقاصدهم واحدة كما ترون وهي عبارة عن حرب موجهة ...ذات أهداف معروفة بأدنى نظر....

محمد أركون
الباطنية الجديدة

ذكر الباحث الدكتور محمد محمد يونس علي، صاحب كتاب علم التخاطب الإسلامي، هناك منهجين في دراسة النص
الأول المنهج الباطني، يتجاوز أصحابه عنصر "القصد" أو "المراد" من الخطاب.
والثاني المنهج البراغماتي، وهؤلاء يجعلون من مراد المتكلم محوراً للدراسة، ويقوم على فكرة مبادئ التعاون التي تعني أن للمتخاطبين مصالح مشتركة في حصول التفاهم بينهما، وهو ما يؤول إلى القول بوجود أصول للتخاطب، منها مثلاً تلك التي صاغها بول غرايس Paul

Grice في براغماتيته المشهورة كمبدأ الكم، ومبدأ الكيف، ومبدأ صدق المتكلم ، ومبدأ الأسلوب، ومبدأ المناسبة.

ومنها تلك التي عرفها الأصوليون كمبدأ صدق المتكلم، ومبدأ الاستصحاب، ونحو ذلك، فضلا عن الأصول التخاطبية التي تصف طبيعة الخطاب المثالي، كأصل الحقيقة وأصل الترتيب وعدم الاشتراك وغيرها.

وأما المنهج الباطني الذي نجد له جذوراً في التاريخ الإسلامي عند الفرق الباطنية وبعض الطوائف الصوفية، والمذاهب الغنوصية، وسار على دربه (في إطار ما يمكن تسميته بالباطنية الجديدة ثلة من المحدثين يتزعمهم علي حرب، ومحمد أركون، ونصر حامد أبو زيد، مع تفاوت بينهم في مدى التمسك بهذا المنهخج، فيقوم علي مبادئ مغايرة تماما لمبادئ المنهج البراغماتي، مثل مبدأ الحجب، ومبدأ الشك، ومبدأ المخاتلة، وهي مبادئ تقوم في مجملها على فكرة أن المتكلم لا يقول الحقيقة بل هو مخادع مضلل، وهذا المنهج وإن صلح لدراسة النصوص الأدبية المستغلقة وما شابهها من الفنون، فلا أظن أنه يصلح لدراسة النصوص الدينية والقانونية ونحوها مما ينتمي إلى المقاصدية.